CC BY NC SA

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقياس: الميتافيزيقا

الدرس الرابع

الميتافيزيقا في الفلسفة الوسيطة الأوروبية

الأستاذ المدرس

الاسم واللقب	الرتبة	الإيميل
عقبة جنان	أستاذ	okba.djenane@univ-biskra.dz

الطلبة المعنيون

القسم	السنة	التخصص
العلوم الإنسانية والاجتماعية	3 ليسانس	فلسفة

مخرجات الدرس:

تُبرز الميتافيزيقا في الفلسفة الوسيطة الأوروبية مسعى الفلاسفة إلى **التوفيق بين العقل والإيمان**، حيث غدت دراسة الوجود مرتبطة بالله كمبدأ أول لكل الموجودات. بلغت أوجها مع **توما الأكويني** الذي ميّز بين الماهية والوجود وأثبت بالعقل وجود الله. ومع نهاية العصر الوسيط بدأت الميتافيزيقا تميل إلى **التحرر من اللاهوت** ممهّدة لولادة الفكر الحديث.

تمهيد:

تمثل الفلسفة الوسيطة المرحلة الممتدة تقريباً من القرن الخامس إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وهي المرحلة التي ساد فيها الفكر المسيحي في أوروبا، وتأثر تأثراً كبيراً بالفلسفة اليونانية، خاصة بأفكار أفلاطون وأرسطو.

كانت الميتافيزيقا في هذه الفترة تهدف إلى التوفيق بين العقل والإيمان، أي بين ما يقوله العقل الفلسفي وما تؤكده العقيدة الدينية. فصار موضوع الوجود يُبحث لا فقط في ضوء العقل، بل أيضاً في ضوء الإيمان بالله كمبدأ أعلى لكل موجود.

الانتقال من الفلسفة القديمة إلى الفكر الديني

بعد أفول الحضارة اليونانية والرومانية، أصبحت المسيحية الإطار الثقافي العام في أوروبا. وقد حاول المفكرون المسيحيون الأوائل، الذين يُعرفون بـ الآباء اللاهوتيين(Patres) ، أن يقدّموا تفسيراً عقلانياً للإيمان.
وهنا بدأت الميتافيزيقا تأخذ طابعاً جديداً: فهي لم تعد تبحث فقط في "الكائن بما هو كائن"، بل في الله بوصفه علة الوجود، وفي علاقة الخالق بالمخلوقات.

أول من مهّد لهذا الاتجاه كان أوغسطينوس(Saint Augustin) ، الذي جمع بين أفلاطونية والإيمان المسيحي .فقد اعتبر أن الحقيقة العليا هي الله، وأن المعرفة الحقيقية هي معرفة الله، لأن الوجود الحق لا يوجد إلا فيه. وهكذا أصبحت الميتافيزيقا عند أوغسطينوس بحثاً في النور الإلهي الذي يُمكّن الإنسان من معرفة الحقائق الأزلية.

ازدهار الميتافيزيقا المدرسية (السكولاستيكية)

من القرن الحادي عشر إلى الثالث عشر الميلادي، عرفت أوروبا حركة فكرية قوية داخل المدارس والجامعات عُرفت باسم المدرسية(Scholasticism) ، حيث سعى الفلاسفة إلى تنظيم العلاقة بين العقل والإيمان بشكل منطقي ومنهجي.

في هذه المرحلة، تم استعادة تراث أرسطو بفضل الترجمات اللاتينية القادمة من العالم الإسلامي، خاصة من فلاسفة مثل ابن سينا وابن رشد، الذين أثّروا بعمق في الفكر الأوروبي.

من أبرز ممثلي الفلسفة المدرسية توما الأكويني(Thomas Aquinas) ، الذي يُعد من أعظم الميتافيزيقيين في العصور الوسطى. فقد ميّز بين الماهية (essentia) والوجود(existentia) ، ورأى أن الله وحده هو الكائن الذي تتطابق فيه الماهية مع الوجود، أي أنه "الوجود المحض"، بينما في سائر المخلوقات يكون الوجود عارضاً يضاف إلى الماهية.

كما صاغ الأكويني ما يُعرف بـ البراهين الخمسة على وجود الله، وهي محاولات عقلية لإثبات أن الوجود الإلهي هو العلّة الأولى التي لا تحتاج إلى سبب. ومن هنا، أصبحت الميتافيزيقا علماً يبحث في الوجود الإلهي كمبدأ لكل الموجودات.

التحولات الكبرى في أواخر العصور الوسطى

مع نهاية القرون الوسطى، بدأ الفكر الأوروبي يتحرر تدريجياً من سيطرة اللاهوت. فظهر فلاسفة مثل دُنس سكوت (Duns Scotus) وغيّوم الأوكامي(Guillaume d'Ockham) ، الذين قدّموا قراءات نقدية جديدة للميتافيزيقا الأكوينية.

- دُنس سكوت ركّز على مفهوم الوجود المشترك (univocité de l'être)، بمعنى أن لفظ "الوجود" يُقال عن الله والمخلوقات بنفس المعنى الأساسي، لا بمعنى مختلف كلياً. وهذا يمهّد للحديث عن الوجود كفكرة واحدة شاملة.
- أما أوكام فقد أكّد على أن العقل الإنساني لا يمكنه أن يبرهن يقيناً على وجود الله، لأن ذلك يتجاوز حدود التجربة، فاقترب بذلك من النزعة التجريبية التي ستظهر لاحقاً في العصر الحديث.

خصائص الميتافيزيقا الوسيطة

1. الطابع الديني :البحث في الله كمبدأ أعلى لكل موجود.
2. التوفيق بين العقل والإيمان :أي جعل الفلسفة خادمة للاهوت.
3. الاعتماد على المنطق الأرسطي في بناء البرهان الفلسفي.
4. النزعة الغائية :اعتبار أن كل موجود يتجه نحو غاية عليا هي الله.
5. التدرّج في الوجود :من أدنى المراتب (المادة) إلى الأعلى (الروح، فالله).

الخلاصة

تُعد الميتافيزيقا في الفلسفة الوسيطة الأوروبية محاولةً كبرى لربط الوجود بالعقل والإيمان، وجعل الله العلّة الأولى والمبدأ المطلق الذي يفسّر كل شيء.

وقد مثّلت أعمال القديس أوغسطين وتوما الأكويني ذروة هذا الاتجاه، قبل أن تبدأ الميتافيزيقا في التحوّل خلال عصر النهضة إلى ميدانٍ أكثر عقلانية وتجريبية.

أهم المراجع

1. Saint Augustin, *Les Confessions*, éd. Gallimard, 1998.
2. Thomas d'Aquin, *Somme Théologique*, trad. Cerf, Paris.
3. Étienne Gilson, *La philosophie au Moyen Âge*, Vrin, Paris, 1944.
4. Jacques Le Goff, *Les intellectuels au Moyen Âge*, Seuil, 1985.
5. Frederick Copleston, *A History of Philosophy, Vol. II: Medieval Philosophy*, Continuum, 1993.
6. Jean-François Courtine, *Métaphysique et théologie au Moyen Âge*, PUF, 1990.